شبكة الألوكة
www.alukah.net

عـــام الحمـــــام

بقلم الأستاذ: رياض منصور

عاد الأسد إلى الغابة السوداء؛ حيث تقيم فصيلته ومختلف الحيوانات، ولكنه عاد يحمل معه ريشة لا تفارقه ولا يفارقها، عاد بها من بلاد الغربة، رحبت به الأسود جميعها وقربه إليه وأدناه منه ملك الغابة بحكم القرابة.

— سأله بنبرة فيها شيء من الدعابة: ما هذه الريشة التي تحملها يا بن العم؟

— هذه يا ملك الغابة "ريشة الفن"، صحيح أنا أسد مثلكم، ولكني أيضا فنان.

ضحكت الأسود والقرود والذئاب والثعالب والفهود، وكل من حضر المجلس، خرجوا من عند الملك ولسان حالهم يردد: "أسد فنان يا للغرابة؟"، أشرقت شمس يوم جديد، ودعا الملك بالفطور فأحضر له، مد مِخلبه إلى قطعة من اللحم كبيرة، وقبل أن تصل إلى فمه تذكر ابن عمه، زأر زأرة فأتاه الخدم.

— نعم مولاي.

— أحضروا إليَّ ابن عمي.

قرع الأسد الفنان على الباب بأدب، ثم استأذن على الملك فأذن له بالدخول.

— هاه، تفضل اجلس هنا قربي، أردت أن تشاركني هذه الوجبة الصباحية، هيَّا كُلْ أيها السبع، البيت بيتك لا تخجل.

— أخجل؟ وممَّ أخجل سيدي الملك، أين فطور الصباح الذي دعوتني إليه؟

— وهل هناك أفضل من لحم حمار الوحش؟ كُلْ هنيئًا مريئًا، كل ربما قويت عضلاتك واشتدت مخالبك، وامتلأ وجهك الذي عصفت به ريح النحول.

— بصحة وعافية سيدي الملك، أما أنا فلا يطيب لي إلا كوب من الحليب الطازج وقطعة من الحلوى مغطاة بالشكولاتة، وكوب من عصير البرتقال.

حدَّق الملك فيه مليًّا، أوقف كل حركاته، ثم أشار إليه بمخلبه:

— أمجنون أنت يا ابن العم؟

— لا جنون ولا هم يحزنون، اعتدت على هذا النمط من العيش وأعجبني، ألم أقل لك أني أسد فنان؟

قطَّب الملك بين حاجبيه، ثم قال:

– وماذا يعني فنان؟ أكاد لا أصدق ما أرى وما أسمع، هيَّا تكلم.

– فنان يا سيدي الملك أني أرسم بريشتي الجمال حيثما كان وأينما وجد، وأكتب شعرًا جميلًا مقفًّى، و...

– توقف! توقف! هل قلت شعر؟

– نعم سيدي، شعر.

دار الملك حول الأسد الفنان دورة كاملة، كأنما يبحث عن شخص آخر يختبئ خلفه، ولما تأكد أن الأسد الفنان لا يخبئ شيئًا، ألصق جبهَته بجبهتِه، وقال له:

– يا بن العم متى كان للأسود شعر، ومتى سمعت عن أسد شاعر؟ لم أسمع بهذا منذ ولدت ولم يسمع به من قبل آبائي وآباؤك.

– انطلاقًا من هذه اللحظة ستسمع به سيدي الملك، وسينشده من بعدنا أبنائي وأبناؤك.

أحس الملك بقُشَعْريرة تسري في كامل بدنه، وهو يسمع جواب ابن عمه، وقبل أن يأذن له بالانصراف تنهد تنهيدة كبيرة، ثم قال:

– يا ابن العم، طلبت فطورًا ولم نحضره لك هذا اليوم، فاعذرنا، ولكن كن متأكدًا أن الفطور الذي طلبت سيصلك يوميًّا، وبالشكل واللون الذي وصفت، ثم أذِن له بالانصراف.

رمى الأسد الفنان خطوتين يريد باب الخروج، فاستوقفه الملك.

– يا ابن العم نوفر لك كل ما تريد، فقط أبقِ أمر الشعر والفن سرًّا بيني وبينك، لا تحدث به مخلوقًا، حتى آذن لك بذلك.

– أمرك سيدي الملك، قالها وانصرف بأدب.

غربت شمس ذلك اليوم بسرعة، مؤذنة بقدوم ليل طويل على الملك، ليل فارَقه النوم فيه، مفسحًا المجال لسهاد وأرق عظيمين قوَّضا مضجعه، ومن كانت تشغله فكرة، أو تنخر رأسه مشكلة، أنى له أن ينام، يستخدم كل الوسائل والطرق التي جُربت من قبل ويبتدع أخرى، ولكن هيهات هيهات للنوم أن يأتيه.

نادى الملك على خادمه وأمره بإحضار القرد "فهيم"، فوصل القرد قبل الخادم؛ لأنه يعرف طرقًا مختصرة لا يعرفها غيره، ولا يريد أن يتفطن لها أحد سواه، قرع على الباب قرعًا خفيفًا، فتح له الملك الباب، أدخله، وأغلق الباب من خلفهما بإحكام، أجلسه بجانبه، ثم قص عليه قصة ابن عمه الفنان كاملة، والقرد يصغي إليه باهتمام، ولما فرغ من سرد القصة قال للقرد:

– أيها القرد فهيم هو ابن عمي، من دمي ولحمي، ولا بد عليَّ أن أُكرمه، وفي نفس الوقت هو من فصيلة السباع كما تعلم، وأخشى ما أخشاه أن تسمع الحيوانات في الغابات المجاورة بأمرنا، فتستهزئ بنا، وتقول: أسد فنان ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين.

حكَّ القرد فهيم رأسه ثم قال:

– نكتم أمره سيدي، ونحاول معه ربما أرجعناه كما كان، وعاد إلى طبيعته الأولى.

ربت الملك على كتف فهيم، ثم قال:

– نكتم أمره! نكتم أمره! نكتم أمره، أتدري يا فهيم لما اخترتك أنت بالذات دون غيرك من أصدقائي الحيوانات، وأفشيت لك بسري؟ أتدري لم؟

رد فهيم:

– كل ما أعرفه سيدي الملك أنك وضعت في ثقتك، وأرجو أن أكون عند حسن ظنك بي.

داعب الملك لحيته بمخالبه كأنه يمشطها، ثم قال:

– اخترتك يا فهيم لأمرين اثنين لا يتوفران مجتمعان في أحد غيرك؛ أما الأمر الأول فهو كتمانك للسر، وهي صفة أحببتها فيك منذ زمن بعيد، ويشاركك فيها صديقنا الفيل، أما الأمر الثاني فهو الحكمة والذكاء الخارق، وهي صفة يشاركك فيها صديقنا الذئب، ولكن أين للفيل بالحكمة، وأين للذئب بكتمان السر؟

– أخجلتم تواضعنا سيدي الملك، وأنا تحت أمرك، ورهن إشارتك.

– فهيم كنت قد وعدت ابن عمي بتوفير كل متطلباته، وهي كما أخبرتك حليب، وشكولاتة وعصير و... و...

– أنا لها سيدي، نَم قرير العين سيدي الملك وفي الصباح رباح، أيمكنني الانصراف؟

خرج القرد فهيم من عند الملك، وسلك طريقًا من الطرق المختصرة التي أوصلته إلى المدينة فدخلها خفية، لكيلا تراه أعين البشر، فتنطلق ألسنتهم بالسوء، ويرميه بعض الأطفال بالحجارة، وهو في غنى عن ألسنتهم وعن حجارة أبنائهم، وكان له في المدينة صديق قديم يُدعى "الجرذ الوفي" يقيم في سرداب مقهى "المستقبل"، وكانت لهما قصص ومغامرات عاشاها معًا في فترة الطفولة، وللطفولة طعم خاص ونكهة مميزة، ومهما ربطت من صداقات عمل وشغل، ومهما نسجت من علاقات ودية في الكبر، لن تكون أبدًا بحلاوة ونقاوة الطفولة، وأنى تستوي علاقات ربطت في مواسم البراءة، وعلاقات حددتها المصالح الضيقة؟

قام الجرذ الوفي بواجبه تجاه صديقه كما ينبغي، وطلب منه أن يمكث عنده يومًا آخر أو يومين، ولكن فهيم اعتذر له، فقال:

– اعذِرني يا صديقي الجرذ، لا أستطيع البقاء معك أكثر من عشر دقائق، فهناك مهمة تنتظرني هناك في غابتنا، ولكني سأمر عليك بين الفينة والأخرى آخذ منك بعض الحليب والعصير والحلوى، نكرم بهم ضيفنا.

– على الرحب والسعة، امرر عليَّ وقت ما شئت، أنا في الخدمة.

قال الجرذ ذلك وهو يلم متطلبات صديقه في كيس كبير: زوّده بكل ما يريد، شيَّعه إلى خارج أسوار المدينة، ثم دعا له بالخير وعاد أدراجه.

***

فتح الأسد الفنان عينيه، فوجد الحليب والحلوى والمعجون والعصير، ووجد الملك بجنبه وقد هيَّأ نفسه لرؤية المشهد المثير، أراد أن يمازح ابن عمه فقال له:

– لا ينقص شيء، أليس كذلك؟

فرد عليه بلباقة، وبكلام يشبه إلى حد كبير كلام المشاهير:

– كل الشكر لكم سيدي الملك، أحضرتم كل ما يلزم، ووفيتم بوعدكم، ولكن نسيتم شيئًا بسيطًا جدًّا، بوجوده تتم سعادة الفنان.

الملك في حيرة:

– ما هو؟

الأسد الفنان:

– المنديل سيدي.

– المنديل؟

نادى الملك بأعلى صوت:

– فهيم.

– نعم سيدي أمرك.

– إن صاحبنا ينقصه المنديل، هل نسيته؟

– لا سيدي، لم أنسه.

ونط نطة واحدة، فأخرجه من علبة بيضاء، وضعها فوق الخزانة، وبكل لطف قدمه إلى الأسد الفنان:

– منديلك سيدي، تفضل، خفت أن يصيبه شيء من الغبار، فوضعته هناك.

– أيأذن لي سيدي الملك بالانصراف؟

تناول الفنان فطور الصباح البرجوازي، والتَهَم الملك قطعةَ لحم، وعندما فرغ منها قال:

– ما رأيك يا بن العم في رحلة صيد؟

– رحلة صيد؟ واو! كم أحب الرحلات والخرجات، فكرة رائعة سيدي الملك.

– أصطحبك معي، ويستمتع كل واحد منا بطريقته الخاصة.

– أجل سيدي بكل تأكيد.

كانت فكرة رحلة الصيد هذه من وحي فهيم، فهو من أشار على الملك بها وأقنعه بجدواها؛ رحلة من شأنها أن تسيل لعاب الفنان لما يرى الأرانب البرية والغزلان، وتنشط ذاكرته، فيتذكر أيام كان شبلًا يصطاد مع والديه، ويفرحان به عندما يعود إليهما وبين أنيابه أول أرنب اصطاده في الغابة السوداء. ومما قاله فهيم للملك أيضًا: إن صاحبنا الفنان إذا شغلت ذاكرته وتحركت غرائزه، فحتمًا ستبرز مخالبه وتسطع أنيابه، ثم يعود إلى طبيعته، وسيرته الأولى، اقتنع الملك بهذه الفكرة، وسعى لتحقيق أهدافها التي سطرها مع الحكيم فهيم، لم يعد هناك ما يشغل باله سوى ابن عمه وفنه.

– إذًا، أنت موافق؟ ما دام الأمر كذلك فستريني في رحلتنا بعضًا من مواهبك وفنك، وأريك بعضًا من قوتي وبأسي.

– أجل سأسمعك بعضًا مما يجود به الشعر عليَّ.

– وإن قلت مثل قولك، وأتيت بشعر مثل شعرك؟

– أستطيع أن أصدق كل الأكاذيب إلا هذه.

– فإن فعلت؟ هل ترجع سيرتك الأولى، وتعود مثلنا معشر السباع، تأكل مأكلنا، وتشرب مشربنا، وتبطش بطشنا، وتصطاد مثلنا؟

– أفهم أن هناك رهانًا وتحديًا؟

– سَمِّه رهانًا أو سمه تحديًا، سمه ما شئت، وإن لم أستطع أن آتي بكلام يشبه كلامك، وبشعر يشبه شعرك، هجرت الغابة وتركتها لك تسوسها بشعرك وفنك.

– أنت مُصِرٌّ؟

– أسرفنا كثيرًا في الكلام، هيَّا لننطلق.

– خرجا إلى الغابة الواسعة راكضين بسرعة الريح، تشتعل في عينيهما رغبة الفوز بالتحدي، قَطَعا مسافات طويلة يجريان حينًا، ويمشيان الهُوينى حينًا آخر، يسترجعان أنفاسهما، ويتذكران مغامرات الصبا، وطيشهما لما كانا شبلين صغيرين، تذكَّرا أن مساحة الغابة القديمة كانت أكبر من هذه الحديثة بكثير، وتذكَّرا أن مياه النهر كانت أغزر، وأن حبات المطر كانت تغسل الأحقاد، وأن الجبل المجاور كان يحمي الغابة من العواصف الهوجاء، وأن أوراق الأشجار كانت خضراء، وأن الينابيع كانت تتفجر بالماء، ثم تساءل الفنان:

– لماذا تخلت هذه الأشياء عن وظائفها؟ ولماذا استقالت المحبة من القلوب؟

– لا تتحرك، الزَم مكانك! "اشت، اشت"، لا تتكلم، ها هي الغزالة التي خرجنا من أجلها، امكث هنا سأجيئك بها.

– سيدي قبل أن تغرز فيها نابك وتُعمل فيها مخلبك، دعني أقول فيها شعرًا.

– بصوت منخفض. .. هيَّا تكلم أنا أسمعك.

خفيفة رشيقة ** وركضها ما أغرَبه

وعينها كحيلة ** عشيقها ما أتْعَبه

– هل هذا هو الشعر الذي حدثتني عنه؟

– هو ذا، ولن تقدر عليه مهما حاولت.

– خذ عني إذًا:

مليحة طرية ** ولحمها ما أطيَبه

إذا رآها شبلنا ** يدس فيها مِخلبه

سمع الأسد الفنان أبيات الملك فوجم، وقهقه الملك قهقهة فرَّت معها الغزالة.

– سيدي فرت فريستك.

– لا يهم، توجد أخواتها، زِدني من شعرك، فقد بدأ يسحرني أنا أيضًا.

رفع الأسد الفنان رأسه فرأى حمامة فرق غصن الشجرة، فأنشد هذه الأبيات:

فوق غصن البان حطَّت = حسنَها تلك الحمامهْ

من رماها بسلام = صافَحتْه بابتسامهْ

طرب الملك لَما سمع هذين البيتين، وأراد أن يقول مثلهما، ولكن غرائزه وطبيعته المفترسة سطرت مكانه، هذين البيتين:

إن تركت الطير يمضي ** عشتَ دهرًا في ندامهْ

وسباعُ الغاب تَهوى ** لحمَ طيرٍ والتهامَهْ

سمعت الحمامة أبيات الأول فطربت، وسمعت أبيات الثاني فغضبت، ولكن غضبها هذا لم يعم بصيرتها، ولم يمس غيرتها على موطنها وغابتها، فابتعدتْ عن الملك مخافةَ أن يبطِش بها، فخاطبته من مكان عالٍ لا يستطيع الوصول إليه، ولكن يستطيع أن يسمعها بكل وضوح.

– حضرة الملك، سمو الفنان القدير، لقد جئتكما من بلاد الإستبس بنبأ يقين، أني رأيت الجراد وقد أكل أخضرهم ويابسهم، وشرب ماءهم، فجفت وديانهم وأنهارهم، فأصبحت ديارهم خاوية على عروشها، لا ماء ولا ثمر، ولقد أخبرني غير واحد من الثقات أن الجراد أعد العدة وجهَّز نفسه، وهو في طريقه إلى غابتنا، أشهدكما أني قد بلغت، قالت ذلك وطارت.

***

في عرين الأسد اجتمع الملك بكبار مستشاريه، يعرض عليهم قضية الجراد الذي يهدِّد أمن الغابة وسلامتها، ويستمع إلى آرائهم فيأخذ بأحسنها، كانت هذه عادة حميدة ورثها الملك عن أبيه، فلم يكن مستبدًّا برأيه، وإنما يستشير من يثق في ودهم وإخلاصهم وذكائهم.

استأذن الفيل بالكلام فأذن له، فقال:

– سيدي الملك، حضرة المستشارين، لقد عشت أكثر منكم، وخبرت الغابة أكثر منكم، وذقت ويلَ الجراد واصطليت بناره أكثرَ منكم، ولست بأفضلكم ولا أحسن منكم، ولكني أرى أن نهجر الغابة إلى مكان آخر أكثر أمنًا وبُعدًا عن الجراد وجيشه الجرار الذي إن مرَّ على وادٍ جفَّ ماءه، وإن مشى

على أرض محا عن وجهها كل لون أخضر، وإن حلق في السماء حجب عنا نور الشمس، وجعل نهارنا ليلًا، نهجر الغابة مؤقتًا ريثما تمر عاصفة الجراد، ثم نعود إلى وطننا، إلى غابتنا الحبيبة.

— "غابتنا الحبيبة"، وهل إذا تركناها للجراد يعيث فيها فسادًا تبقى حبيبة؟ أنضحك على أنفسنا سيدي الفيل؟

قال النمر "غضبان " ذلك، وتولى إلى مكانه.

نظر إليه الملك، نظرة ملؤها الاستفهام، ثم قال له:

— نسعد برأيك صديقي غضبان، أشرْ علينا.

— نهاجمهم في عقر دارهم، نباغتهم ليلًا وهم نيام، فنُبيدهم عن بكرة أبيهم.

— فكرت في هذا صديقي غضبان، ولكنهم لا يعسكرون في منطقة واحدة، بل ينقسمون إلى أفواج وجماعات، ويتولى قيادة كل فوج قائد فطن، غير متهور، وبعيد النظر، يختار لجماعته منطقة في أعالي المرتفعات، تكون بعيدة عن الأعين، محصنة لا تصل إليها مخالب السباع.

— وهل نبقى هنا مكتوفي الأيدي ننتظر مصيرنا المحتوم؟

— نبقى هنا ننتظر رأيًا سديدًا وخُطة محكمة من أصدقائي المستشارين، فنحن ما اجتمعنا هنا إلا لهذا الغرض. ولو لم أكن أثق فيكم وفي آرائكم وأفكاركم ما جمعتكم في عريني.

قال الملك هذا الكلام وهو يتفرس بعينيه وجوه الحاضرين، ألانَ لهم جانبَه ليسمع منهم كلهم، وأينما وجد الحكمة أخذها، ولا يهمه من نطق بها؛ لأن الغاية أكبر من هذا أو ذاك، الغاية هي حماية الغابة من خطر الجراد، الغابة أولًا وقبل كل شيء.

نغز الأسد الفنان الملك، وقد كان جالسًا بجنبه، وأومأ إليه أن انظُر إلى السلحفاة، نظر الملك إليها فوجدها تفتح فاها ثم تغلقه، تريد الكلام، والحشمة تردها.

— إن كان لديك قول فتفضلي، أيتها السلحفاة.

— سيدي الملك، ماذا لو بنينا سورًا عاليًا حول الغابة؟

صفق الحاضرون للفكرة، وشكروا السلحفاة.

– فكرة رائعة، حل مناسب، لماذا لم تتكلمي منذ البداية أيتها المستشارة السلحفاة؟

قال النمر غضبان ذلك وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه.

– أيأذن لي سيدي الملك بالكلام؟

– بكل تأكيد تفضل "فهيم".

– سيدي أنا أرى أن هذه الخطة لا تصلح، لأن...

لم يدعه غضبان يكمل شرحه بل قاطعه قائلًا:

– لا تصلح! لا تصلح! ومتى كانت أفكارنا تعجبك، ومتى كانت أفكارنا تصلح؟ لا فكرة تصلح إلا فكرتك، ولا خطة تنجح إلا خطتك، في كل مرة يأتي السيد "فهيم"؛ ليثبطنا ويسفِّه عقولنا. سيد "فهيم" من هذا المكان أدعوك لتترك الغابة وشأنها، أفضل أن يأكلني الجراد على أن تأكلني آراؤك وأفكارك.

قال ذلك وهم بالانصراف، ولكن الفيل اعترض طريقه، وقال:

– لو كان أحد ينصرف من هذا المجلس فهو أنا، ولو حق لأحدنا أن يغضب لغضبت أنا، وكثيرًا ما تسفه قولي، وتجرح مشاعري ولا أرد عليك، أتدري لم لا أرد عليك؟ لأن الغابة أكبر من هذه الأحقاد التي تعيق تفكيرنا، وتعكر صفو حياتنا، الأحقادُ – صديقي غضبان – تجعل دنياك مظلمة، وتفقدك الأصدقاء الواحد تلوى الآخر، وتلبسك الأحزان والهموم، أما أنا فقد غسلت بماء الثلج قلبي من الأضغان، وإذا وضعت رأسي على الوسادة وضعته وأنا أُحب الجميع، لذلك صديقي غضبان لن تخرج من هنا ولن أخرج إلا وقلوبنا طاهرة مليئة بالحب لا تحمل غلًّا لأحد.

همس الأسد الفنان في أذن الملك ممازحًا:

– لست وحدي في الغابة هناك فيل فنان أيضًا.

– ابن العم رجاءً ليس هذا وقت المزاح.

– ما مازحتُك سيدي إلا عندما أنارت رأسي فكرة جيدة، وخطة محكمة ندفع بها هجوم الجراد، لن أحدث بها إلا بعدما أستمع للجميع هنا.

في الجهة المقابلة للملك، كان النمر غضبان يعانق الفيل ويطلب العفو من القرد "فهيم" الذي تكلم فقال:

– اعلَم يا صديقي غضبان أن حرصك على أمن وسلامة الغابة، وخوفك عليها جعلك تصرخ في وجهي، وأعلم أيضًا أن حبي لك لا يسعه مكان ولا تحده حدود، قلت لكم: إن فكرة المستشارة السلحفاة، غير مجدية لعدة اعتبارات، منها أن السور يحمي جوانب الغابة ويترك سقفها عاريًا، في حين يهجم الجراد من السماء، ولو بنينا السور وغطينا الغابة من الأعلى، فسيحجب عنا نور الشمس، ولا تصلنا حبات المطر فنهلك، ثم من يقوى على بناء السور وأقوياء الغابة منهكين، أنْهكهم الحجر الضخم الذي أزاحوه عن مجرى الوادي.

أذن الملك للمستشارين بالانصراف فانصرفوا جميعًا، ولم يبق معه سوى ابن عمه والقرد " فهيم"، اغتنم الأسد الفنان فرصة وجود القرد "فهيم" أمامه، فسأله عن الحجر الضخم الذي تحدث عنه قبل قليل.

قال فهيم:

– قصته طويلة جدًّا، ونحن الآن في شاغل عنها.

قال الملك:

– قصَّها عليه.

فقال فهيم:

– إن كانت هذه رغبة الملك، فسأحكيها، اشتكت أسماك السالمون إلى الملك نُدرة المياه في الوادي الذي يقسم الغابة إلى قسمين، قسم شرقي، وقسم غربي، وأخبرته بأن أعدادها في تناقص مستمر، وأنها لا تستبعد أن تنقرض سلالة السالمون إذا بقيت الأمور كما هي عليه، تتبَّع الملك بنفسه مجرى الوادي، باحثًا عن سر تناقص المياه، حتى إذا وصل إلى أعلى الجبل، رأى حجرًا ضخمًا قد سد الطريق على المياه، فتكونت خلف الحجر بحيرة كبيرة جدًّا، وتناقص الماء في وادي السالمون، عندها جمع الملك السباع والفيلة، وكل أقوياء الغابة وسار بهم إلى أعلى الجبل، وقضوا هنالك ثلاثة أيام بلياليها، لم

يعودوا حتى أزاحوا الحجر الضخم، وعادت المياه إلى مجاريها، آه، كم كانت فرحة الأسماك كبيرة بهذا الإنجاز، وكم كان استقبال الغابة لأبطالها رائعًا.

– وأسماك السالمون هل لهم قائد يحكمهم ويأتمرون بأمره؟

– أجل، أجل، قائدهم "سالم"، وهو من معارفنا وأصدقائنا.

– هل يمكنني أن أتكلم معه؟

التفت "فهيم" إلى الملك، فوجده يتابع حوارها باهتمام، ثم قال له:

– سيدي الملك، أظن صاحبنا قد أصيب بالحمى، نحن نبحث عن حل لمشكلتنا، وهو يريد التكلم مع "سالم"، وفي هذا الوقت المتأخر من الليل.

– هو يعي ما يقول يا فهيم، وربما هو يبحث عن حل عند الأسماك، ولا مانع لدي إن عاد من عندهم بحل لمشكلتنا، والغابة للجميع، وقد لاحظت أن الذي نبهنا بخطر الجراد هي حمامة، ثم اجتمع عندي خيار الحيوانات، وتكلمت في حضرتي السباع والفيلة، والسلحفاة، وأظن أنه لم تبق إلا أسماك السلمون، فلتُبد رأيها وفكرتها، وقد قلت لك يا فهيم من قبل أني مستعد أن أجلس مع الحشرات في سبيل الغابة، ومن أجل المصلحة العليا لهذا الوطن الحبيب الذي يجمعنا.

***

انطلق الثلاثة إلى الوادي حتى إذا وصوا إليه وجدوا "سالم" مستلقيًا على ظهره يخاطب النجوم.

– سالم أما زلت مستيقظًا؟

اعتدل سالم ليرى محدِّثه، فلما رأى الملك واقفًا أمامه فاضت عيونه بدمع الفرح، رحَّب بالثلاثة ثم قال:

– كيف أنام سيدي الملك، وخطر الجراد يهدد غابتنا.

– ولهذا الغرض أتينا إليك.

قال ذلك الأسد الفنان، والقرد فهيم مكتف بالمتابعة فقط.

– كل أسماك السالمون رهنُ إشارتكم، كم يسعدنا أن نقدم خدمة لغابتنا الحبيبة.

– نحتاج خمسين أو ستين شبكة صيد سمك السردين.

– تصلكم غدًا صباحًا سيدي، أعرف مرفأً ليس ببعيد من هنا، هجره صيادوه إلى حرفة الصناعة، وتركوا هناك كل سفنهم وشباكهم ولوازم الصيد، وسأجهز جيش السامون حالًا للقيام بهذه المهمة التي نتشرف بالقيام بها.

– نمر عليك غدًا صباحًا.

– رافقتكم السلامة.

– شبكة صيد! سالمون! سالم! مرفأ مهجور! سردين! غدًا صباحًا! سيدي الملك سينفجر رأسي، أصبحت أشعر وكأنني بينكما مجنون.

ربَّت الأسد الفنان على كتفه، ثم قال له:

– أضف إليها شجرة السنط، وتكتمل الخطة.

– ولكن شجر السنط يستخرج منه الصمغ، وهو نادر جدًّا، توجد بضع شجرات منه في أقصى شمال الغابة، ولكن ممكن سؤال؟

– ممكن طبعًا، تفضل!

– ماذا سنصنع بشجر السنط؟

وهنا تدخل الملك فقال:

– هذه الخطة من وحيك أنت سيد فهيم، أوحيت لنا بها عندما رددت فكرة السلحفاة بالأدلة والحجج والبراهين القاطعة، استثمر الأسد الفنان في كلامك، وهمس في أذني فقال: "أما فكرة إحاطة الغابة بسور فلا بد منها، وتغطية سقف الغابة لا بد منها كذلك، وضوء الشمس وحبات المطر لابد منها هي أيضًا، ولذلك سنغلف الغابة بغلاف يمنع دخول الجراد، ويسمح في نفس الوقت بتسلل أشعة الشمس وحبات المطر إلى تربة الغابة".

– آه! الآن فهمت، والغلاف هو شبكة صيد سمك السردين؛ لأن الجراد بحجم سمك السردين، ولكن سيدي وما حاجتنا لشجر السنط؟

قام الأسد الفنان مواصلًا شرح فكرته وكلام الملك:

– نحتاج الصمغ الموجود في شجرة السنط، نطلي به الشباك من الخارج، بحيث تلصق فيه كل جرادة حاولت اقتحام غابتنا.

– بقي عندي سؤال أخير، ولكن من يضع شباك الصيد فوق أشجار الغابة؟

– يتعاون الجميع، ولكن المهمة الكبرى سيقوم بها الحمام، وسنسمي هذا العام إن مر علينا بسلام، عام الحمام.